

رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة العاشرة

من فكتور هوغو الى خطيبته اديل فوشه

(فكتور هوغو أشهر من ان يعرف لأنه المجلي في حلبة الشعر والانشاء كما تشهد له بذلك مؤلفاته ورواياته التي أظهر بها مساوى المجتمع العمراني بطريقة لم يسبقه اليها أحد . ومن احسن ما نُشر له من آثاره الأدبية بعد موته مجموعة رسائله الغرامية التي كان يبعث بها الى خطيبته اديل فوشه . وقد اخذنا منها الرسالة الآتية كتبها في ساعة يأس بلغه فيها ان خطيبته ستقترن بغيره اطاعة لرغبة والديها)

في مثل هذه الايام من السنة الماضية كنا نعدّ الايام الباقية لنا من أمد الفراق . واليوم نعدّ الأيام الباقية لنا من حرية التراسل قبل ان تعزلي الى بيتك الجديد وتتكافى المعيشة مع الرجل الذي قد اختاره لك والدالك ، واني عالم انه لا يحق لي أن اكتبك فيما بعد ، وانما تشفع بي ذكرى غرام لا تزال في النفس بقية باقية منه . فان كنت أدعوك الآن رفيقة صباي فلأني لا أزال أطرب لذكرى أيامنا الماضية وأحن الى ربوع صباننا كما يحنّ الفطيم الى أحضان أمه

تلقيت رسالتك الاخيرة مع بريد هذا الصباح فأحببت ان أجيبك عنها قبل ان تنطوي آخر صفحة من استقلالك فلا يعود يسوغ لك ان تبسمي لغير زوجك او تهتمي بغير مرضاته . وربما كانت هذه آخر

رسالة مني اليك . فائذني لي ان أخاطبك باللهجة التي اعتدت مخاطبتك بها قبل الآن . لأنك تقولين ان الحب الذي يضم قلوبنا سيظل ثابتاً الى الأبد ، وإن إكراه أهلك اياك على الاقتران بغيري لا يمكن ان ينسبك حبنا القديم وعهد غرامنا المنصرم

أراك من خلال رسالتك تكتمين عني هموماً ثقيلة الاعباء . فلماذا أنت حزينة يا اديل ولماذا تفسحين للهموم مجالاً في فؤادك المثلث باعباء الغرام ؟ ان كان الغد يروعك فان لك من بعده موقفاً تنسين به مواقف الامس اذ تجدين من حب زوجك ما يلهيك عن ذكرى غرام فاض به قلبك ردحاً من الدهر ثم انطوت صفحته وانطفأت شعلته ، وحل محله حب آخر ربما فتحت لك السعادة من ورائه احضاناً رحيمة

لعلك تهمينني بفتور في الحب . ولكن متى عرفت ان رسمك لا يرح من مخيأتي دقيقة واحدة وان قلبي لا يزال يخفق كلما عرض لي ما يذكرني بك ، علمت ان اليمين التي أقسمتها لك تحت تلك الصفصافة سأظل أرددها حتى آخر نفس من الحياة . فافرحي ولا تحزني يا اديل . ان قلباً وقفته على حبك لن يفسح لغير رسمك الجميل . ومواقف حبنا هذه أرسخ من أن تعبت بها أيدي الزمان

سحابة وتنقشع يا اديل . فمتى انقشعت لا تعودين تذكرين من أيامنا هذه أكثر مما يذكر الشيخ من أيام طفولته . لأن واجبات الغد ستنسبك أحلام اليوم ، وداء الحب المستحكم فيك سيشفيه مرور الزمان . وما الذي يهملك غداً ولك من ثغور بنيك ما ينسبك ابتسامة حبيب

قديم ، ومن محبة زوجك ما يفتح لك ابواب فردوس كنت قد اغمضت
عينيك عنه قبلاً لتتمتعى بأحلام زائلة ؟ فافرحي ولا تحزني لأنني أنا
ايضاً أفرح متى رأيتك في سعادة وهناء .

أرى الحياة مملّة يا أديل . لم أعد أطرب لشيء فيها كما كنت أطرب
لها من قبل . لأن الآمال التي كنت أتعلم بها في الأمس قد زالت
فصرت أرى الحياة أشبه بدور هزلي يلعبه الانسان في العالم ثم يفسح
المجال لشقي آخر يجيء بعده . فما الذي يحببها إلينا ولا شيء يخلد فيها سوى
الآمال ؟ نعم ان الآمال كثيرة متشعبة ، وأنعشها للنفس ما كان مبعثه
القلب ومنشأه الحب . ولكن أية لذة للحياة اذا انطوت صفحة تلك
الآمال وحل محلها اليأس وانتقلت النفس من حلم هنيء الى يقظة رائعة
تقولين انك عازمة على الانقطاع عن العالم ، والالتجاء الى دير
تقضين فيه البقية الباقية لك من الحياة . أفما يكفيك أن لك من قلبي
ديراً ليس فيه سواك يا أديل ؟ ألا يكفيك أنك تحولين هنالك من
عابدة الى معبودة فتسمعين من مزامير الغرام وأناشيده ما يفتح لروحك
الطاهرة فردوساً تتنعمين فيه ؟ فان خطرّت لك فيه العبادة فهناك
تجدينها على أسماها وإنما هي موجهة اليك عند مذبح الغرام .

كنت البارحة في ملهى . . . وكانت عيناى شاخصتين كل الوقت
الى المقصورة التي كنا فيها معاً لآخر مرة . وكان فيها رجل ضخيم الجثة
وبرفته فتاة حسناء في مقتبل العمر وهما يقهقهان لنكات الممثلين
ويصفقان لها طرباً . فقلت في نفسي هل هما سعيدان كما كنا في تلك

المقصورة منذ اشهر خلت ؟ وهل يمكن ان يبلغا من السعادة ما بلغناه
منها في عهد غرامنا القصير ؟

ما اطيب قلبك يا أديل ! تطلبين مني ان اسامحك وانت تعلمين
اني لا أعرف لك سيئة غير ما أسأت به الى نفسك اذ أحببتني حباً
مخلصاً كنت في غنى عنه . فحرام عليك ان تستذني نفسك الطاهرة
وتنسي اليها ما هي بريئة منه . وان كانت سيئات البشر كلها من قبيل
ما تستذنين به نفسك فما أقدمها ذنباً تفتح لمرتكبيها أحضان الآلهة ،
وتبلغ بهم الى نعيم تجري من تحته الانهار . أنت تذنين يا أديل ؟
إذا من بعدك لا يخطئ في العالم ؟ ولمن تبقى أبواب السماء مفتوحة إن
هي أوصدت في وجوه الملائكة ؟

لي حاجة اليك يا أديل وهي ان تسمح لي بحفظ صورتك التي
أهديتها الي في عيد ميلادك الفائت فانها التعزية الوحيدة الباقية لي
بعد مأساتنا هذه . فإن أنكرتها علي فليس لي إلا ان أعيدها اليك .
ولكن ثقي انك سواء استرجعتها مني او لم تسترجعها فإن رسمك
منقوش في قلبي ولن يمحوه مرور الأيام او كروار الأعوام

سلام الى حين اللقاء وراء « مرسحنا » الفاني . سلام يحمله اليك
النسيم في اليقظة ، والملائكة في الحلم
(بقلم سليم عبد الاحد)
فكنور